



العقيدة «المستوى الثاني»

د. عبد الحكيم العجلان

الدرس (8)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها الإخوة المشاهدون المشاهدات، في مجلس من هذه المجالس الطيبة، وفي درس من هذه الدروس المباركة التي نلتقي وإياكم جميعاً في الأكاديمية التي تعنى بالعلوم الشرعية، نتفكر فيها وندرس كتاب الله -جل وعلا- وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- ونتدارس مسائل ينفعنا الله -جل وعلا- بها في الدنيا والآخرة.

أيها الإخوة، أول شيء يُبدأ به فيحصل به البركة والخير هو البدء بالحمد والثناء على الله. فالحمد لله حمداً يليق بجلال الله -جل وعلا- وأصلي وأسلم على نبيه وصفيه من خلقه، وآله من بعد وصحبه.

أما بعد، فبعد أن أمضينا الكلام على شيء من الاختصار والإجمال فيما يتعلق بحكم الإيمان بالرسول لنكون بذلك قد أنهينا ما يتعلق بالإيمان بالملائكة وبالكتب وبالرسل، **وشرعنا في الخامس من أركان الإيمان وهو الإيمان باليوم الآخر.**

والحديث عن الإيمان باليوم الآخر من الأحاديث العظيمة، من الأحاديث الجليلة،---- من الأحاديث الكبيرة، من الأحاديث التي تحدث وجاء بها كتاب الله -جل وعلا- في مواطن كثيرة من الآيات؛

بل لربما كانت بعض السور مفتوحة بذلك مختمة به لعظم ما يتعلق بذلك، ولكبر ما يترتب عليه من الآثار على المؤمن في الدنيا والآخرة.

إذا تكلّم عن اليوم الآخر؛--- فإن ذلك يقتضي خشوعاً في القلوب، ودمعة في العيون، وإخباتاً لله -جل وعلا- وإقبالاً لله -سبحانه وتعالى.

حينما نتعلم مثل هذه العلوم، فهذه العلوم -أيها الإخوة- ليست أحاديث تُقال لثُحْفَظْ، ولا كلام يُراد به مجرد أن تستقر في النفوس، أو أن تُزداد بها المعلومات، **لكنه حديث يستقر في القلوب فتحیی به وتصلح به،**---- وتستقيم على طاعة الله -جل وعلا- ---- ويكون سبباً لحصول الخير للإنسان في الدنيا والآخرة، ---- لا خير في علم لم ينتفع به صاحبه، ---- ولا خير في شيء لا يزيده في ذلك إلا حجة عند الله -سبحانه وتعالى.

ولأجل ذلك أو مما يدل على هذا، أن عبد الله ابن الإمام أحمد سأل الإمام أحمد وكان سؤاله فيه شيء من الاستقلال، قال: معروف ما عنده يا إمام -يعني معروف الكرخي- كانه يستقلّ ما عنده من العلم.

فقال الإمام أحمد: "يا بني، عنده رأس العلم، الخشية".----- يعني أن رأس العلم هو حصول الخشية لله -جل وعلا- والإقبال عليه، ---- ولأجل هذا تناقل السلف كثيراً الكلام: **"إنما العلم ما نفع".**

فذلك -أيها الإخوة- لتعلموا أن الكلام الذي نقوله والكلام الذي نتعلمه ليس ليزداد الإنسان علماً يجاري به إخوانه إذا اجتمع في المجلس، أو ليتكثر به بين الأقران، --- أو لينقله عبر الرسائل فقط ليُقال أن فلاناً جاء بجديد، ---- أو فلاناً جاء بشيء غريب؛ فإن ذلك مما ليس يفيد الإنسان إلا أن يكون شيئاً يطلب به النجاة في الدنيا يصلح به قلبه، ---- ويرجو أن يكون صلاح إخوانه وأصحابه وزملائه والمسلمين؛ ---- فإن ذلك لا شك أنه من العلوم النافعة.

ولأجل هذا كان الحديث عن الإيمان باليوم الآخر من أعظم الأحاديث.

وإذا تكلم أهل العلم عن الإيمان باليوم الآخر فإنما يريدون بذلك: --- الإيمان بكل ما يكون بعد الموت من أحاديث، ---- ومن أمور البرزخ، وأمور القبر، وما يكون فيه من عذاب، --- وما يكون فيه من نعيم، وما يكون فيه من سعادة، ---- وما يكون فيه من بداية شقاوة - نسأل الله السلامة والعافية- وما يكون بعد ذلك من البعث، --- والنفخ في الصور، --- وإعادة الأرواح إلى الأجسام، والوقوف لله -جل وعلا-

لحساب.. ثم ما يتبع ذلك من العرصات والأحداث والمواقف التي جرى بيانها وذكرها في كتاب الله جل وعلا- وفي سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- مبيّنة واضحة، فيها شيء من التفصيل، وفيها شيء من البيان ليكون عظة للقلوب-----، وتحريكا للنفوس وإرجاعا لها لأن تخشى الله سبحانه وتعالى- فتستعد لتلك المواقف،----- وتخشى من تلك العرصات فتطلب النجاة بين يدي الله سبحانه وتعالى- فتنتظر في سبيل الهداية،----- وتسلك سبيل السلامة في أي طريق يكون مخلصا لها من هذه اللأواء، ومن هذه الشدائد.

وقد تقدم معنا الإشارة على شيء منها لما ذكرنا أنه لا يتأتى للعباد الفصل والخلص إلا بشفاعته،

وتكون هذه الشفاعة تعرض على الأنبياء، ويطلبها الناس من أولي العزم من الرسل، لكنه لا يتصدى لها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كل هذا يدل على ما ذكرنا.

الإيمان باليوم الآخر -كما قلنا- من أعظم ما ينبغي أن تحرك به القلوب، وتصطلح به النفوس، ولأجل ذلك كان من أعظم ما يفتتح به ويبدأ به آيات الكتاب، فالله جل وعلا- في آية سورة البقرة التي هي السورة الثانية افتتحها بالكلام على ذلك، فقال جل وعلا: سم الله الرحمن الرحيم {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة 1، 2]. ما حالهم {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [البقرة: 1].

فحصول إقامة الصلاة والأعمال إنما هو أثر إيمان الإنسان باليوم الآخر، وإيمانه بحساب الله له، وإيمانه بأنه موقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى-، وهذا هو الذي ذكرته عائشة أيضا كما جاء ذلك في الحديث الذي في الصحيح، أنها قالت:

"أول ما نزل من كتاب الله جل وعلا- الجنة والنار، ولو أنه نزل: افعلوا أو لا تفعلوا؛ لم يكن للناس أن يستقيموا، حتى إذا وقر الإيمان في القلوب وتحركت النفوس نزلت الأوامر والنواهي" أو كما جاء ذلك في الحديث وهو عند البخاري في الصحيح. إذن -يا إخوة- هذا من الأمور العظيمة، ومن المسائل الكبيرة التي حينئذ نتكلم عليها لا يظن أننا نتكلم عن حديث مجرد، ولا معلومات لا حقيقة لها ولا أثر لها في نفوسنا،-----مع ما سيأتينا بآذن الله جل وعلا- من أن الإيمان باليوم الآخر هو ركن ركين لا يتم الإيمان إلا به.

وبين يدي هذه الاستهلاله فإنه مما يعلم أن الإيمان باليوم الآخر إيمان بشيء نراه أو بشيء نعالجه ونعرفه-----، أو بشيء غاب عنا لا نحفظه؟----- هو بشيء غاب عنا، وهذا مما يزيد به أمر الإيمان ويتعلق به تحقيق الإيقان.

ولأجل ذلك كان الإيمان به من أعظم درجات عباد الله المؤمنين، وبهذا أثنى الله عليهم -كما في الآية السابقة- وفي غير ما موضح من كتاب الله سبحانه وتعالى.

ولأن هذا الموطن هو الموطن الذي حصل من أهل الضلال،-----من أهل الإشراك، من أهل عباد الأوثان، إنكاره وعدم الإيمان به؛ فإنهم يؤمنون بالله جل وعلا- لكن حقيقة إيمانهم أنهم لا يؤمنون بأن الله يبعث من في القبور،----- أو أن الله يحيي الأنفس بعد ذهابها، أو يعيدها بعد موتها، وقد جاء ذلك في غير ما آية من كتاب الله جل وعلا- فأبان الله عن حالة أهل الجاهلية من إنكارهم للبعث والنشور كما جاء ذلك في آية سورة الجاثية، وفي غيرها من الآيات.

على كل حال فهذا مما يزيد التعليق الإيمان به؛ بل حتى من لم يكن من أهل الجاهلية فإنه ربما سرى إليه حسال الله السلامة والعافية- أهل الضلال، وهم الفلاسفة، ومن نحا نحوهم ومشى على إثرهم،-----مع أن الفلاسفة من أشد الناس عقولاً وأحذقهم نظراً،----- وأكثرهم فكراً،----- لكن إذا علم الإنسان أنه إنما يؤتى العلم من رأسه وأنه يتكل على ما في قلبه فإن الله جل وعلا- يكله إلى بلاء وإلى فتنة. ولأجل هذا يقول الله جل وعلا- في كتابه

{وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُمْ فَلَاحِقٌ لَهُمُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: 41]

فلما أرادوا أن تستقل القلوب والنفوس والعقول بإثبات هذه الأمور أو نفيها وكلهم الله جل وعلا- إلى أنفسهم-----فجرى منهم أن هذه خيالات،----- وأنها ليست حقائق وأنها لا يمكن، وأنه إنما استعملها الأنبياء والرسل حتى يستجلبوا قلوب الضعفاء والدهماء والعوام-----فيهذبوها وبصلحها -نعوذ بالله من الضلال

ونعوذ بالله من تكذيب القرآن، ونعوذ بالله من مضادة قول الله وقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم. ومن أصدق من الله قيلاً؟! ومن أصدق من الله حديثاً؟! ومن الذي يقدر على محادة الله في قوله وفعله وما أمر الله به من الإيمان وما أمر به رسول -عليه الصلاة والسلام؟!

وقبل أن نأتي إلى بعض الأدلة والقرائن في إثبات ذلك والإشارة إليه، وسيأتي مزيد بيان فيها في مواطن كثيرة، فإنه لا بد أيضاً أن نحقق الأدلة الدالة على أن الإيمان باليوم الآخر من أعظم درجات الإيمان وأكدها،

فإن الله جل وعلا- في كتابه يقول للدلالة على أن الإيمان باليوم من ركانز الإيمان، ومما يتحقق به

الإسلام، يقول الله جل وعلا: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة: 29].

والآية التي ترددت معنا كثيراً آية سورة النساء في قول الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: 136].

على كل حال، فهذه دلالة على اعتبار الإيمان باليوم الآخر، ومن ذلك الأحاديث، الحديث المشهور معنا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أَنْ تَوَمنَ بالله ملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

فكل ذلك يدل على أنه لا يصح إيمان مسلم، ---- ولا يتحقق له الإيمان، ولا يكون من أهل لا إله إلا الله حتى يكون مؤمناً باليوم الآخر، ---- وما جاء فيه من الأخبار، ---- وما صح به من النقل ---- مما يكون من بعث الموت، ---- ومن البعث، ومن الحساب، ومن الجزاء في الجنة والنار، ---- وما توارثت به النقل من هذه الأخبار ----

والغيبات ---- التي جاءت في كتاب الله جل وعلا - وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. -----
****-ولا مدخل للعقول في تفصيلها أو ذكرها، أو الانفراد بإثباتها، ---- لأن ذلك من علوم الغيب، وعلوم الغيب إنما تُثَلَّقَى ----- عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

إذن هذا من الأمور المهمة، الأمور اللازمة التي ينبغي لنا استشعارها في مثل هذا المقام، في مثل هذا الحديث. -لو رجعنا للنبيين عن إشارة سريعة، أو إشارة عجلية فيما يتعلق بما جاء في كتاب الله جل وعلا - في الرد على المشركين وعلى المنكرين للبعث،
وما جاء من اليوم الآخر لرأيت أن آيات القرآن تنوعت في الدلالة على ذلك. -----

1--- فمن ذلك: أن الله جل وعلا - ذكر إحياء الموتى في سورة البقرة في خمسة مواطن للإشارة على أن الله جل وعلا - يحيي الموتى ويبعث من في القبور. ---فقصة بني إسرائيل، ---- وقصة ما جاء في قول الله جل وعلا - في القوم الذين ماتوا، ---- وفي قصة إبراهيم، ----- وفي خمسة مواطن في سورة البقرة ذكر فيها ما يتعلق بذلك. ----- فإن هذا موطن من المواطن التي استدلت بها على إحياء الموتى.

2---- أيضًا ما جاء في كتاب الله جل وعلا - من أن الإعادة أهون من البداية،

{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27] - سبحانه وتعالى.

3-- ومن ذلك أيضًا ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى - في الرد على منكري ذلك {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يس: 78]، جاء بعظم وهذا العظم قد رم من طول المدة له وقت طويل - فأخذه وفثته أمام النبي صلى الله عليه وسلم - وضربه كأنه يستكبر على ما جاء في القرآن، قال: مَنْ يحيي العظام وهي رميم؟ فأُنزل الله جل وعلا - تكذيبًا له وتصديقًا لما جاء به الكتاب والسنة قول الله جل وعلا: **{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس: 78، 79].** سبحانه من رب - عظيم، سبحانه من رب خلاق، سبحانه من رب عليم حكيم. ----

فإن هذا من الأدلة على ما جاء في إحياء الله للموتى وذكر الدلالة على ذلك. ----- يعني هذا طرف من هذه الأدلة ويمكن أن يأتي ذلك معنا في الكلام عن البعث في موطن من مواطن بحث هذه المسائل، ---- ولا ووقف على تفصيلاتها -إن الله جل وعلا - لكن هذه إشارة عجلية يُحتاج إلى الوقوف عليها. ---- أي شيء سنتجد عنه بعد أن تحدثنا عن هذه المقدمة السريعة؟

فإن مسائل الإيمان باليوم الآخر كما ترون مسائل كثيرة جدًا ---، هل هو عن علامات الساعة؟ ---- أو الموت؟ أو القبر؟ ---- أو الصور؟ أو البعث والنشور؟ أو الحشر؟ أو العرض والميزان؟ أو الجنة والنار، الصراط، الميزان، مسائل أخرى أيضًا كثيرة جاءت بها الأدلة. معنى الإيمان باليوم الآخر تقدم، لكننا ما أشرنا إليه كعنصر، لكن غير هذا طيب، وأنا سأؤكد عليه.

{علامات الساعة}.

نعم، هو يا إخوان يمكن البداية بعلامات الساعة أو الموت. ----- **أما علامات الساعة باعتبار أنها مقدمات ماذا؟ القيامة الكبرى.** -----
أما الموت فهو القيامة الصغرى، ---- فكان البداية الحقيقة بالموت أنسب في هذا الموطن، فلأجل ذلك سنقدم الكلام على الكلام على الموت وبعض الأشياء التي تتعلق به، ثم بعد ذلك ننتقل إلى القيامة الكبرى ومقدماتها وما يتعلق بها. --- لكن الأخ عبد الحكيم قال: معنى الإيمان باليوم الآخر.

الحقيقة كان من المهم أن نشير إليه كعنصر والتفقيط أو عنصر الأشياء مفيدة لطالب العلم في التعلم، ---- لكنني في بعض الأحوال قد ألقيتها عليكم، وأكل ذلك إلى قوة أذهانكم، أو الملاحظة أذهانكم في أنكم تنتشلونها وتدنونها، ---- وإخفاء بعض الأمور ولفها قليلًا مما تجعل أذهانكم أكثر حضورًا، ---- لأن الإنسان إذا وكل ذهنه إلى الملقي فإنه لا يكاد يتحرك الذهن وتشحذ الهمة، لكن ينبغي له أن يكون حاضر الذهن بحيث يجعل هذا هنا، ويجعل هذا هنا؛ فإذا أشكل عليه شيء سأل، فيستفيد في ذلك فائدتين:

1-- حضور الذهن وقوة الفهم.

2---- ويستفيد في ذلك أيضًا حل الإشكال إذا ورد، والإجابة عن لسؤال إذا طرأ.

على كل حال، نحن قلنا معنى الإيمان باليوم الآخر: هو الإيمان بكل ما أخبر الله به مما يكون في اليوم الآخر مما يحصل بعد الموت من السؤال في القبر، وفتنته، وعذاب القبر ونعيمه، ---- وما يتعلق بذلك أيضًا بالبعث بعد الموت، والوقوف والحساب، ---- والجزاء، والجنة والنار، ---- وتوابع ذلك على ما ذكر في هذا اللوح امامكم من أشياء تتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

قبل أن نأتي إلى الموت فهنا أيضًا إشارة أنه تلحظون في كتاب الله جل وعلا- أنه قد ورد ذكر الإيمان أو اليوم الآخر بأسماء كثيرة، أليس كذلك؟ ولو أردت أن تحصرها لوجدت أنها كثيرة جدًا، وسنذكر طرفًا منها، لكن قبل أن نذكر القاعدة عند العرب: أنهم لا يُكثرون من أسماء شيء إلا لأهميته وعظمه.

***ولأجل هذا -على سبيل المثال مثلاً- تجد السيف عندهم، وكان السيف معظماً وشيئاً يفتخرون به ويفخرون، له أسماء كثيرة عندهم، يسمونه السيف، ويسمونه الصارم، وله أسماء عندهم كثيرة، أو المهند، وغيرها كثيرة.

***أيضاً تجد مثلاً: الأسد عند العرب له أسماء كثيرة، الأسد، والضرغام، وأسامة، وغيرها من الأسماء وهي كثيرة جداً.

***أيضاً لما ذكر الله جل وعلا----- في كتابه ما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر بأسماء كثيرة دلّ ذلك على تعظيمه وتهويله وعظمه. من أسماء الإيمان باليوم الآخر، سماه الله جل وعلا: الواقعة، الحاقة، القارعة، الأزفة، الطامة، الصاخة، الراجفة {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} [النازعات: 6]، نعم----- ففي كتاب الله جل وعلا- تسميات كثيرة جداً، إذا سمع الإنسان مثل ذلك وراى هذه المعاني أو ما اشتملت عليه هذه الأسماء من المعاني يزداد وجهه وخوفه مما يلاقيه في ذلك اليوم، الصاخة، الطامة.

الطامة:----- المصيبة الكبيرة أو الشيء العظيم، وهو مصيبة على من لم يستعد لذلك اللقاء، ولم يتحمل حمالته، ولم يؤدّ حقه الواقعتي القارعة، أشياء كثيرة. وحتى ذكر الله جل وعلا- لها في كتابه على وجه فيه التهويل والتعظيم {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة 1، 2]، كل ذلك يدل على تعظيم ذلك اليوم. نعود- أيها الإخوة- إلى ما ذكرنا أن البداية بإذن الله جل وعلا- ستكون بالكلام على الموت.

وأول شيء يمكن أن يتكلم به عن الموت: عن مقدمته-----ومقدمة الموت هي التي تسمى عند أهل العلم بالاحتضار.

والاحتضار:----- هو من حضره الموت، وبدأت عليه مقدماته، ---وهذه ساعة من أعظم الساعات ولها اعتبار.

ولأجل ذلك جاء في كتاب الله جل وعلا- الإشارة إليها تفصيلاً في غير ما موضع من كتاب الله، للدلالة على ماذا؟ على أهميتها.

1-----فمن ذلك: قول الله جل وعلا- في صف حالة الاحتضار، دعنا نبدأ بآية سورة الأنعام {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ، الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأنعام: 93]، يعني تأملوا هذه الآية،--- وهذا الوصف، وهذا الذكر لتلك الحال التي انطرح فيها الإنسان -----وقد ذهبت قوته، وحضر ضعفه، وقاربت أنفاسه أن تنتهي، وأيامه أن تنفد، وحياته أن تزول،--- وأن يقبل على حياة أخرى،-----حياة البرزخ، والحياة الآخورية خَسَل الله السلامة والعافية.

2--والآية الثانية في وصف الاحتضار: أول الآيات: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُقُوفَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة 83 - 85]-----وتأملوا مجاء في وصف هذه الآية،----- وكأنها صفة حاصلة لكثير من الناس، أنهم إذا حضرت الوفاة ميتهم اجتمعوا عليه، ليس أحد مهما بلغت قوته ---أو جاهه، أو سلطانه،----- أو ماله، أو طبه،---أو شيء، أن ينفع ذلك المحتضر، أو أن يخلصه من آتاهاته،-----أو بلائه، فلأجل ذلك وصف الله جل وعلا- ذلك في أعظم وصف.

3--والآية الثالثة أيضاً في ذكر حال الاحتضار: في آية سورة القيامة، فإن الله جل وعلا- قال لما ذكر {وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ * وَجُودَ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة 22-26]،

4--- ثم ذكر أحوالهم، ذكر حال الاحتضار {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ الْقَافِيَةَ وَفِيلَ مَنْ رَاقٍ} [القيامة: 26]، يعني يبحث في الناس من يرقيه؟ من يداويه، من يصلح له شيئاً قد ذهب عليه.---{وقيل من راق... الفراق}----- فأيقن بفراق هذه الدنيا، وتلك من أعظم الأمور التي يلقاها المؤمن في هذه الدنيا،

***** ولأجل ذلك قالت عائشة أو ذكرت عائشة حال النبي -صلى الله عليه وسلم- عند احتضاره، وكانت لك من أعظم المواقف التي توعظ بها القلوب وتحرك بها النفوس،----- حتى نفوس أهل الغفلة والعصيان والمعرضين،--- ومن قست قلوبهم وضعفت نفوسهم وأغوتهم الدنيا وأشغلتهم الشهوات وطغت عليهم الرغبات والملاذات والمحرمات؛-----لأنهم يوشك أن إذا سمعوا بهذه الحال وتأملوا ما لاقاه النبي -صلى الله عليه وسلم- في تلك الساعة --- وما عالجه عند حضور الموت؛ فإن الإنسان يخشع قلبه،--- وتتحرك نفسه، ويذهب بعض طغيانه،--- وتتكسر شدته وإعراضه عن الحق،--- ولذلك تقول عائشة لما ذكرت حال النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: «إني لأوعك كما يوعك الرجلان منكم»، تقول عائشة: "فلا أكره شدة الموت بعد الذي رأيت من حال النبي -صلى الله عليه وسلم-".

فتأمل أن نبي هذه الأمة وهو خير من وطأت قدمه الثرى جرى له ما جرى في تلك الساعة للعلم بشدتها وعظمتها بلائها.

ولذلك يُذكر أن الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- كما ذكر ذلك ابن أبي يعلى في طبقاته أنه بال دماً عند الاحتضار، فقال له الطبيب: "إنه رجل مقهور" فقال ابنه عبد الله: "إنه مقهور على السنة"--- يعني في إرادة إظهارها، والجهاد فيها، والقيام

عليها، يعني أنه يلاقي الإنسان في تلك الساعة مهما بلغ قدره ومنزلته عند الله -جل وعلا- فإنه يلاقي ما يلاقي من الشدة والبلاء. إذا ذكرنا ذلك فإنه مما يحسن ذكره في الاحتضار: ----- أن الناس في هذا على فريقين

1--- منهم من يوفق لخاتمة طيبة.

2--- ومنهم من يُخذل حتى يلاقي الله -جل وعلا- بسوء الخاتمة، ----- وبفعله سيئة، ----- وبختام مشين يلاقي به الله -

سبحانه وتعالى- ويلقى به أو يوافي عمله عند الله -جل وعلا- ----- وتأمل ما جاء في الأحاديث، ما جاءت به الأدلة من هذا الموطن، وفي تلك الحال، فحال الذين حسنت خاتمتهم وهم الذين ذكرهم الله -جل وعلا- في قوله الله -سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: 30].

هذه من أعظم الآيات في الدلالة على ما يلقاه عباد الله -جل وعلا- حال مفارقتهم للدنيا وحال خاتمتهم من التثبيت ولاطمين، ومن البشارة التي يأتي بها الملك لهؤلاء ليبشروهم برّب راضٍ، ربّ غير غضبان، بروح وريحان، بجنة وجنان يلقونها عند الله -سبحانه وتعالى

ولأجل هذا جاء في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

«من أحب لقاء الله أحب لقاء الله، ومن كره لقاء الله -سبحانه وتعالى- كره الله لقاءه».

وهنا قال أهل العلم: --- ليس المقصود أن الإنسان يكره الموت فيكره لقاء الله -جل وعلا- ----- فما من أحد من البشر إلا يكره الموت، لكن قالوا: أن هذا على حالين:

1---الحال الأولى: ---الذي يكره لقاء الله هو الذي يُعرض عن الاستعداد لليوم الآخر، ----- ولا يتزود من الصالحات والقربات، والقيام بالواجبات والمستحبات.

2---والحال الثانية -كما ذكر ذلك النووي وغيره: ---أنه عند النزاع وإحساسه بالإقبال على الله -جل وعلا- يفرح بهذا اللقاء، ويوفق للعمل الصالح لكونه مقيماً عليه مديماً له، ----- بخلاف من كان دون ذلك، ----- فإنه لا يزال يتقلب ويتغير حتى لربما افتلتت نفسه على كلمة سيئة، أو على خاتمة مشينة -نسأل الله السلامة والعافية-

من أعظم الأشياء التي تعين على أو تكون دلالة على حسن الخاتمة ما ذكره أهل العلم وصح به النقل:

1---أن يُختم للإنسان بـ "لا إله إلا الله"، «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة».

2---وأيضاً ذكر أهل العلم أنه إذا مات المؤمن يكون له عرق في جبينه، فإن هذا موت المؤمن بعرق

الجبين، ----- وإن كان في أسانيده مقال أو انقطاع كما عند الترمذي، لكنه مما اعتضد به أهل العلم، أو استأنسوا به في مثل هذا الموطن للدلالة على حسن الخاتمة للإنسان.

3---موت الإنسان في بعض الأوقات الطيبة كيوم الجمعة أو ليلتها فإنه يأمن الفتان، جاء ذلك في بعض الأحاديث.

4---أيضاً الميت في ساحة القتال من أعظم الأعمال، ----- سواء كانت الشهادة العظمى وهي الشهادة في سبيل الله -جل وعلا- أو كانت الشهادة بالطعن، أو الهدم، أو الغرق، أو الحرق، كما جاءت أن الشهادة لها أنواع تعدد ليس هذا موطن بيانها.

5---الموت في حال الرباط، وهم الذين يرابطون على الثغور -- منعاً للكفار أن يتسلطوا على المسلمين، وقد يُقال في مثل ذلك أيضاً منع الشرور من الوصول للمسلمين كحراس الحدود الذين يحفظونها من المخدرات والمسكرات والبلايا وأسباب الفتن كالأسلحة وغيرها. --فهذا مما جاء فيه الحديث: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ومن قتل مرابطاً أمن الفتان، ووُسّع له رزقه عند الله -جل وعلا-»، أو كما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم-

6---أيضاً من مات في حال نفاسها وولادتها، جاء فيه أنه «يأتيها ولدها يجرها بسرره إلى الجنة»، نسأل الله التوفيق والفضل والرحمة، ولأخواتنا المسلمات. ----- إذن هذه مواطن من المواطن التي يتحصل بها للإنسان، أو يستدل بها على حسن الخاتمة.

وكم رأينا من أناس في هذه الأوقات، وأيضاً حكّي في سالف الأيام ممن ختم الله لهم بخاتمة سعادة، بخاتمة خير، رؤي عليهم آثار يستدل بها على أنهم انتقلوا من هذه الدار على أحسن حال.

ومما أذكر في هذا -وجرت عادة السف ذكر جملة من القصص في هذا: أن رجلاً كنا نعرفه يعمل في المساجد والعناية بها، ويسعى في القيام عليها والاهتمام بها، وهو أصح ما يكون، كان خارجاً في يوم من الأيام مع أهله وبعض أولاده وهو يصلي صلاة الضحى قضى الله -جل وعلا- أن يُختم له على تلك الحال. ---فتأمل أنه لما كان ساعياً في المساجد خُتم له في حال صلاة وسجود.

وهذا أيضاً معروف، أحد المؤذنين، كان مؤذناً مدة طويلة محافظاً على الأذان، فلما كان في أثناء أذانه خُتم له، وانتهت حياته في تلك الحال -نسأل الله حسن الخاتمة-

وقد رأينا شيئاً من ذلك ممن نزل بهم الموت في بعض أهلنا رأيته وكان في شدة شديدة عظيمة في حال الاحتضار، يرتفع صدره ويخفض، حتى إذا قربت وفاته ابتسم ابتسامة وضحك ضحكة، ثم ضحك ضحكة أوسع منها وأكبر، ثم قضى.

فما الذي أضحكه بعد هذه الشدة؟ وما الذي جرى عليه حتى روي على وجهه الانشراح مع هذه المعالجة إلا ما يكون من البشارة التي جاءت في الآية {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: 30].

و ضد ذلك -نسأل الله السلامة والعافية- من كانت له خاتمة سيئة، ولها بلا شك مقدمات وعلامات دلالات ممن على سبيل المثال يُختم له بسوء، أو على عمل سيء، أو يُدعى إلى الخير فلا يوفق له، أو يُطلب منه التوبة فلا يقوم بها كما كان من حال أبي طابل لما يقول له النبي صلى الله عليه وسلم: «**قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةُ أَحَاجَّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**»، فيقول: هو... يعبر أهل العلم بقوله "هو" لئلا يسندوا الإنسان لنفسه، يعني هو قال: أنا... لكن أهل العلم يقولون "هو على ملة عبد المطلب" لئلا يقول الإنسان: أنا على ملة عبد المطلب. فتنبهوا لها. بعض الناس يشكّل عليه فهمومها من جهة أنها كيف "هو على ملة"، لا، هو قال: أنا على ملة كذا.

لكن أهل العلم في روايتها لا يقولون "أنا" لئلا يسند ذلك إلى نفسه تحفظاً حتى في المقال أن يقول مثل ذلك حتى ولو كان على سبيل الحكاية حفظاً للنفس أن تزل في مثل هذا الزلل، أو حتى تقاربهم حتى في حكاية تلك الأقوال. أيضاً تعرفون أن ابن القيم -رحمه الله- وابن رجب ذكروا قصصاً كثيرة.

من هذا أن ابن رجب ذكر في جامع العلوم والحكم عن عبد العزيز بن أبي رواد أن رجلاً حضرته الوفاة، فكان يقال له: قل لا إله إلا الله -فنسأل الله السلامة- يقول: ----- هو كافر بهذا.

يعني لا يؤمن بأن لا إله إلا الله، ويمتنع أن يقولها عند الموت. --- يقول عبد العزيز بن أبي رواد: فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر.

فكان يقول: **"اتقوا الذنوب، اتقوا الذنوب، فاتها تورّد هذا المورد"**، كما جاء عنه -رحمه الله تعالى-.

وابن القيم ذكر قصصاً كثيرة، ذكر ذلك الرجل الذي كان يتعامل بالربا، حتى إذا حضرته الوفاة كان يقول: عشرة بتسعة، وكان يقولها بالفارسية لأنه فارسي.

وذلك الرجل الذي كان يحب الغناء والطرب، يقال له: لا إله إلا الله. فيعيد بعض ما حضره من الأغاني.

وذكروا أن رجلاً كان يلعب الشطرنج، فيقال له: لا إله إلا الله ويُدعى إليها. فيقول بعض الألفاظ والمصطلحات التي يعرفها اللاعبون لهذه اللعبة المشينة التي جاء عن الصحابة والسلف منع لعبها أو تعاطيها. --- فمثل هذا يخيف الإنسان أن يبلغ ذلك المبلغ أو أن يصل إلى هذا الأمر.

ولذلك ابن كثير -رحمه الله تعالى- ذكر: "أن الذنوب والمعاصي تجتمع على الإنسان، فيكون مع الشيطان له الخذلان، حتى إذا اجتمع مع ذلك ضعف إيمانه حصل له ما حصل، ----- وكان الشيطان للإنسان خذولاً".

ثم يقول: "إن سوء الخاتمة لم يُسمع أنها جاءت لشخص أصلح باطنه وظاهره، ----- واستقام في الظاهر والباطن

على الصالحات، وإنما تكون لمن عقد باطنه عقداً فاسداً وكان ظاهره على عمل كذلك"، ----- يعني من فعل بعض الكبائر والإقامة عليها، وتعاطي بعض الذنوب العظيمة في الخلوات والاستمساك بها، فإن ذلك من أعظم الأسباب التي تبعد الإنسان عن طريق الخير، عن طريق الهدى، عن الخاتمة الطيبة، ولا يحفظ من ذلك وقد أدام العمل وأدام الشر في مثل هذا.

على كل حال، --- يعني من المواطن الحقيقة يا إخوان وإن كنا أطلنا في هذا الموطن، لكن حقيقة بنا أن نحرك قلوبنا حتى أهل الخير وأهل العلم وأهل الفضل --- يوجد عندهم من الانقباض في قلوبهم والضعف في إيمانهم، ----- حتى إنهم ربما يجدوا من أنفسهم صدوداً أو ضعفاً، أو عدم إقبال على الخير، ----- أو تساهل في مقارفة ومقارنة فعل بعض السيئات.

من أعظم المشاهد التي شهدتها في حياتي في العام الماضي ----- عقيب الحج: كنا قد صلينا صلاة الفجر في اليوم الرابع عشر، حتى إذا خرجت من المسجد فإذا جنازة تخرج، ثم خرجت ثانية، ثم ثالثة -----، وكانت -أظن أنه خرج في ذلك الحين أو في ذلك الوقت- أكثر من أربعين جنازة، يعني هي تجمعت في أوقات وجيء بها من أماكن ونحو ذلك، لكن الذي لفت نظري: أن بعض من صُلّي عليه في تلك الصلاة كانوا من المحرمين. ----- فأنا كنت أدرس كثيراً أن المحرم إذا مات وهو محرم يُكفّن في ثيابه، لكن لم يبلغ الحقيقة بهذا المعنى واستشعاري له حتى رأيته، فلما رأيت أربعة منهم وقد سُجّوا أو كُفّنوا بثياب إحرامهم، ----- فكان لهم من الهيبة ومن الحال التي يُحسدون عليها، فعلمت أنه إذا كان الناس يحسدون كثيراً من أهل هذه الدنيا على ما يؤتون من رغباتها وشهواتها وسعة قصورها ومسكنها مراكبها، فوالله للحسد في تلك الحال التي يُقبض عليها الإنسان ولو عاش ما عاش من تعب أو نكد أو معاناة للمصائب أو البلايا أو الأمراض أو الأسقام، فإنه والله أسعد وأنتم من أولئك كلهم.

فقلت: هنيئاً لهم-----، لربما كانوا أول مرة يبلغوا هذا المكان، إما من الهند، أو من بنجلادش، أو من شرق البلاد وغربها، لكنهم لما كانوا على بر وعلى صلاح؛ ----- أراد الله لهم أحسن خاتمة، فختم لهم في هذه البقاع وهم متلبسون بهذه الشعيرة، وهم محرمون لله -جل وعلا- ويصلي عليهم وفود المسلمين، وأفواج كثير من عباد الله -جل وعلا- الذين أيضاً جاؤوا للحج في ذلك الموطن.

إذن هذا موطن من مواطن الحديث عن الاحتضار، وبعض المسائل المتعلقة بذلك. ----- لعلنا بعد هذا أن تأتي على مسألة الموت.

والكلام على الموت هو طرف أو قد انجرّ بالكلام على الاحتضار.

الموت جاء ذكره في كتاب الله -جل وعلا- وأبان الله عنه، ولم يكن واعظ للقلوب أعظم من الموت. -ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«كفى بالموت وعظاً»**.

وجاء في غير ما آية من كتاب الله -جل وعلا- **«أنه لن تسلم نفس من ذوق مرارته والتعرض له»**، -ولذلك قال الله -جل وعلا-: **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** {آل عمران: 185}.

والله -جل وعلا- في كتابه يقول: ----- **«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا** {آل عمران: 145}. **«وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** {الأنبياء: 34}.

ليس أحد يخلد في هذه الدنيا مهم اوتي من قوة أو جاه أو غيرها.

ولذلك قال الله -جل وعلا- في كتابه: ----- **«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** {الرحمن: 26، 27}.

ويقول الله -جل وعلا-: **«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»** {القصص: 88}، **«والتعبير بالهلاك إمعان في حصول الذهاب والنزول والفناء، حتى إنه هالك من كل وجه، والهلاك يعني معنى أعظم من الموت في الدلالة على حصول ذلك واستشعار ملاقة الإنسان له، لأنه ذكرشيء يترتب على شيء من الموت من الهلاك وذهاب الحركة، وحصول الضعف ونحو ذلك.**

المهم ومتعلق الكلام هنا ما جاء في كتاب الله -جل وعلا- من حصول الموت وجريانه على بني آدم، ولذلك جاء في كتاب الله أن الله هو الذي يتوفى العباد **«اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا»** {الزمر: 42}.

وأهل العلم لهم كلام في الموتى الصغرى ---- والموتى الكبرى، لكن لعلنا نؤجلها قليلاً حتى لا ندخل حديثاً في حديث.

وجاء في كتاب الله -جل وعلا-: **«قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكِّلَ بِكُمْ»** {السجدة: 11}.

«وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ» {الأنعام: 93}، فذكر الله -جل وعلا- حصول الموت على العباد، وأن الله هو الذي يتولاه، وأن ما جاء في الآيات من تولي الملائكة لذلك إنما هو من إكمال الله لهم، ----- وقد ذكرنا لكم ما يتعلق لكم من أن الله وكل إلى الملائكة أعمالاً يقومون بها، ومن ذلك ملائكة الموت، سيأتينا ما يتعلق بهذا في حديث البراء بن عازب.

أيها الإخوة، كم من النفوس التي تأنف من ذكر الموت، أو تعرض عنه، ----- أو تخشى من ذكره، أو تخاف من الكلام عليه، أو من إطالة الحديث عنه؛ بل لربما إذا سمعت حديثاً من الموت خرجت، أو سمعت أحداث الموت هربت، وكل ذلك لضعف إيمانها، وضعف إيقانها، ومحبتها وتعلقها بدنياها، ----- وتلك علامة تدعو الإنسان على مراجعة نفسه، إنه لولا صدود في قلبه، وإعراض وغفلة، وتعلق بهذه الدنيا ومحبة لها؛ فإنه لا يكون منه هذا النفور؛ ----- بل ما أحسن أن توعظ النفوس، وتحرك القلوب، لعل الإنسان أن يرجع نفسه من فعله فعلها، أو سيئة اقترفها، ----- أو معصية ادم عليها واستقر على فعلها.

إذا ذكر الموت؛ فإن الموت لا يحتاج فيه إلى أن يوصف، ولا إلى أن يقال: كيف يوصف الموت.

وهو يأتي على الصغير وعلى الكبير، يأتي على السلطان والأمير والوزير، يأتي على الجبارة، ويأتي على الظلمة، ويأتي الصلحاء، ويأتي على عباد الله الأنقياء، نعم، لا يفك أحد من الموت، فلربما مات الإنسان على فراشه، ولربما سلم الإنسان في أشد بلائه، وذلك ما يكتبه الله -جل وعلا- ----- لكن يجتمع العباد أنهم لهم ساعة فيها يموتون، وأن لهم وقت من هذه الدنيا ينتقلون، فالكلام على الموت والحديث عنه من أعظم ما يتعلق بذلك ويتكلم فيه.

وحديث البراء بن عازب، هل يمكننا أن نأتي على حديث البراء بن عازب؟ أظن أننا سنحتاج فيه إلى خمس دقائق.

الحقيقة أن حديث البراء بن عازب من أعظم ما جاء فيه ذكر الموت، ----- وذكر الانتقال لهذه الروح، ----- والفرق بين **المسلم والمؤمن والكافر،** ----- لعلكم أيها الإخوة أن تراجعوا لفظه، سأذكره على وجه الإجمال،

سأذكر بعض ما ذكر لنا رسولنا -صلى الله عليه وسلم- من حال المؤمن في تلك الحال، ولعلكم أن تراجعوا لفظه، وهو من أهم الأحاديث التي وردت في ذكر الموت والكلام عليه، ولذلك ذكر غير واحد من أهل العلم أن سند هذا الحديث جيد، وأنه يعتمد عليه، ولم يزل أهل السنة والعلماء ينتقلون هذا الحديث في هذا الموطن في ذكر الموت، وما يتأتى وما يلاقيه الإنسان عند مفارقة هذه الدنيا، وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- جاؤوا كانوا في جنازة، فحضر وكان على رؤوسهم الطير. فقال:

«تعوذوا بالله من عذا القبر، تعوذوا بالله من عذا القبر، تعوذوا بالله من عذا القبر».

ثم قال: **«إن المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة؛ حضرت إليه الملائكة، ومعها حنوط وأكفان، وجلسوا منه مدًّ بصره،** ----- حتى إذا أتاه ملك الموت وجلس عند رأسه -----، فقال: يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فخرج نفسه تسيل كما تسيل القطرة من فيء اسقاء».

هل رأيتم قطرة يتعذر عليها الخروج من فيء السقاء؟ لا، بسهولة ويسر، لا يُسمع لها صوت، ولا يحصل لها أثر، ولا يكون لها تعب ولا تغر، وتكون أصفى ما تكون، فكَذلك نفس المؤمن إذا كان حال خروجها وانقطاعها من هذه الدنيا، وكتب الله -جل وعلا- خلاص أنفاسها وانتهاء حياتها.

«فما أن يأخذها ملك الموت حتى يأتي إليه الملائكة فيأخذونها منه، فيجعلونها في تلك الحنوط، ويكفنونها بتلك الأكفان، ثم يصعدون بها، فلا يمرون بملائكة من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الطيبة؟ وما هذه النفس المطمئنة؟»

فيقال: إنها فلان بن فلان بأحب الأسماء وأطيب الأسماء التي كان يُدعى بها في الدنيا. حتى إذا أتوا السماء الدنيا استفتحوها ففتحت، فلا يأتون أهل سماء إلا شيعوها إلى السماء التي بعدها، حتى التي بعدها إلى السماء، فيقول الله جل وعلا: اجعلوا نفس عبدي في عليين وافرشوا له من الجنة فراشاً.

ويأمر الله جل وعلا- بإعادته إلى قبره، فإنها بهذا قضى الله -سبحانه وتعالى- فيُعاد إلى قبره، فيُفتح له إلى الجنة، ويرى من ريحها وروحها وخيرها.

فيأتيه الملائكة فيسألونه: من ربك؟ فيقول: ربي الله.

ويقال له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام.

ويقال: من نبيك؟ فيقول: محمد -صلى الله عليه وسلم-....ثم يبشر بما يكون له من الخير والرضوان..-فيأتيه رجل حسن المنظر، حسن الثياب، فيقول من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيئ بالخير.....فيقول: أنا عمك الصالح.

فيقول: **ربّ أقم الساعة، ربّ أقم الساعة.** لما يتأمل من حصول الرحمة والرضوان والخير والسعادة الأبدية التي رأى مقدماتها بحصول الحياة الأخروية، أو بانتقاله من الحياة الدنيوية.

أما الكافر -نعوذ بالله- فإن الله جل وعلا- قد ذكر ونبينا صلى الله عليه وسلم- قد بين من حال انتقاله من هذه الدنيا ما يخاف الإنسان أن يكون ماله ماله، أو أن يكون حاله كحالهم، فإن الملائكة يأتونه وهم سود الوجوه، فيقعّدون منه مدّاً بصره.

ويأتيه ملك الموت حتى يقول: يا أيتها لنفس الخبيثة اخرجي، فتتفرق نفسه فيجسده.

يقول: «فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول» لشدة ما يكون من نزاعها وتمسكها حتى تنقطع ويكون لها بلاء.

«فما أن تصل إلى ملك الموت حتى يأخذها الملائكة الموكولون بذلك، فيجعلونها في تلك الحنوط، وتلك الأكفان التي فيها من البلاء ما فيها، فيأتون بها أو فيصعدون بها، ما يمرون على ملائكة إلا يقولون: ما هذه الريح الخبيثة؟»

فيسألون عنه، فيخبرون عنه بأسوأ وأبشع اسم من أسمائه التي كان يُعرف بها في الدنيا -نسأل الله السلامة-

حتى إذا وصل إلى سماء الدنيا، فيستفتحون السماء فلا يُفتح لهم -نسأل الله السلامة والعافية- فيؤمر بها فتلقّى فتعاد إلى الأرض، وذلك قول الله - جل وعلا- في آية سورة {فَتَحْطَفُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31]- فذلك حاله -نسأل الله السلامة والعافية-

حتى إذا استقرّ في قبره جاءه الملائكة فيسألونه، فيقولون: من ربك؟ ----فيقول: ها ها لا أدري.»

وهنا وقفة -أيها الإخوة- مهمة ينبغي التنبه لها: وهو أن بعض الناس يقول: يعني هذه العلم بها ظاهر!

لكن تأملوا إذا أردتم أن تعرفوا حقيقة عدم التوفيق هنا: أن الله جل وعلا- قال في كتابه {يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم: 27]، حتى ولو كنت تعرفها، إذا لم تكن مؤمناً محققاً للإيمان بها فإنك لا توفق لقولها.....ولذلك جاء أيضاً في بعض الألفاظ: أنه يقول: «ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»،

يعني هو ليس بجاهل بما يتحقق به الإيمان، لكنه لم يوفق للقول به، فليحقه من العذاب والبلاء ما الله به عليم.

فيأتي بعد ذلك، تعلمون يأتيه عمله في صورة بشعة، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر.

فيقول: أنا عمك السيء -نسأل الله السلامة-

فيقول: ربّ لا تقم الساعة، يا ربّ لا تقم الساعة.---فمع ما هو فيه من البلاء والنكال والعذاب، فإنه يخاف من قيام الساعة لأن ما ينتظره في ذلك أشد وأعظم.

ولأجل هذا جاء عن عثمان أنه إذا ذكر القبر وعذاب القبر ونعيمه بكى بكاءً شديداً --لا يحصل له عند ذكر الساعة، فقيل له،

فقال: "إني سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإذا نجا منها كان لما بعدها اهون، وإن لم ينج منها كان لما بعدها أشد»، أو كما جاء عن نبينا -صلى الله عليه وسلم-

أيها الإخوة، الحديث عن الموت، والحديث عن الآخرة أحاديث عظيمة ينبغي أن تكرر في مجالسنا، وأن تعاد في حلقتنا، وأن تحرك بها قلوبنا، لعل الله -سبحانه وتعالى- أن يصلحنا، لعل الله جل وعلا- أن يعيد إلى نفوسنا الإيمان، ويزيد في قلوبنا الإيقان، فنعان على طاعة الله جل وعلا- ونثبت على أمر الله -سبحانه وتعالى- ونباعد المعاصي والسيئات، عسى الله أن يوفقنا وإياكم لكل خير وهدى.

وإلى لقاء قادم بإذن الله، نلتقي وإياكم في مسائل مهمة مما يتعلق بذلك، فيما يتعلق بمكملات الكلام عن الموت والروح ونحوها، ثم أيضاً ننقل إلى مسائل مهمة في عذاب القبر ونعيمه. أسأل الله جل وعلا- أن يوفقنا وإياكم لكل خير وهدى، أسأل الله أن يجزيكم خير الجزاء أيها المشاهدون والمجاهدون على ما تتعنون من متابعة، على أن المتابعة البعيدة لربما كانت أكلف على الإنسان، أو يحتاج فيها إلى أشد مجاهدة، وأيضاً الإخوة على حضورهم وتعتيهم لوصولهم إلى هذا المكان. أسأل الله ألا يضيع أجرنا جميعاً، الإخوة القائمين على هذا البرنامج والمساعدين في إخراجهم من مصورين ومخرجين وغيرهم، والقائمين في كل ما يكون سبباً لحصول هذا الخير، واستمراره، والله الموفق والمعين والمسدّد والمثيب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.